اشراقات عربية فى إبداع لوركا

Las influencias árabes en la obra de Lorca

Arabic Influences on Lorca's Works

Mona Rabi BASTAWI
Departamento de Lengua Árabe
Universidad de Qina (Egipto)
monrbastawi@yahoo.com

Recibido: enero de 2008
Aceptado: febrero de 2008

ملخص
يدور البحث حول تأثر لوركا بالشعر الأندلسي بخاصة، والشعر العربي المشرقي بعامة وخير مثال على ذلك (ديوان التماريت) الذي يضم مجموعة من القصائد التي تبدأ بكلمة غزل العربية (gacel) أو كلمة قصيدة (casida) العربية أيضاً.
ويتضح من خلال البحث مدى تأثرلوركا بطريقة نظم الموشحات الأندلسية التي كانت شائعة في الأندلس ولا سيّما في ديوانه الغجري، كما تناول البحث أهم الظواهر العربية في الشعر العربي والتي ظهرت بوضوح في إبداع لوركا كظاهرة التصغير، وظاهرة التأثر بالموروث الشعبي، وظاهرة الخوف من الموت، والازدواج في النظرة إلى الجنس، وغيرها من الظواهر التي لا شك استمدها من الشعر الأندلسي والمشرقي .

كلمات مفاتح : الشعر العربي. الشعر الأندلسي. شعر فيدريكو غرثيا لوركا ."ديوان التماريت" ."ديوان الغجري".

RESUMEN
Este documento analiza la influencia de la poesía andalusí y, especialmente, la poesía oriental en la obra de Lorca. El ejemplo más representativo es el *Diván del Tamarit*, que contiene un grupo de poemas que comienzan por la palabra árabe "gacelas" o "casidas".
En el presente artículo se muestra la similitud entre la poesía de Lorca, en su obra *Romancero gitano*, y la muwaššaḥa andalusí.
La investigación se centra en los fenómenos árabes que influyeron en Lorca, tales como la brevedad del verso, el folklore, el miedo a la muerte, la doble visión sobre la sexualidad y otros fenómenos que, sin lugar a dudas, tienen su origen en la poesía andalusí y oriental.

PALABRAS CLAVE: Poesía árabe. Poesía andalusí. Poesía de Federico García Lorca. *Diván del Tamarit*. *Romancero gitano*.

ABSTRACT
The paper studies the influence of Oriental Arabic poetry in general and Andalusian poetry in particular in Lorca's work. The best example of these influences is his *Divan del Tamarit* which includes a series of poems starting with the Arabic words "Gacel" or "Casida".
The paper also shows the similarity between certain poetic forms sometimes used by Lorca, as in his collection *Romancero gitano* and the Andalusian muwaššaḥa, as well as the peculiarities of Arabic poetry that left a mark in his work: his use of short verses, the influence of popular folklore, the theme of fear of death, the double consideration of sexuality and other elements which certainly originated in Andalusian and Oriental poetry.

KEY WORDS: Arabic poetry. Andalusian poetry. Federico G. Lorca's poetry. *Divan del Tamarit*. *Romancero gitano*.

مقدمة :

شاء القدر للوركا أن يتبوأ مكانة رفيعة فى عالم الأدب ، جعلت منه ذلك العلم الشاهق فى دنيا الآداب الإسبانية فى العصر الحديث ، فقد ظهر فى عصر اتسم بنهضته الأدبية الهائلة حتى إنه يعد " عصرًا ذهبيًا ثانيًا " بعد العصر الذهبى الأول الذى يوافق القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .

فهو أشبه ما يكون بالمتنبى فى عالمنا العربى ؛ إذ ظهر فى عصر ، اشتهر بنهضة أدبية رائعة ، وكان قد ظهر معه فى بلاط سيف الدولة الحمدانى عدد من أعاظم الشعراء العرب ، ولكنه فاقهم جميعًا ، " فملأ الدنيا وشغل الناس " ، وكذلك الحال للوركا مفخرة الإسبان فى العصر الحديث ، لقد نال مكانة عالية من الصيت والذيوع ما لم ينلها غيره من أقرانه الشعراء المعاصرين له ، وكانوا من أعاظم شعراء إسبانيا أيضًا نذكر منهم : بدرو ساليناس (1891 – 1951م) *Pedro Salinas*، وخيرار دويجو (1896 – 1987م) *Gerardo Diego* ، ورفائيل ألبرتى (1898 – 1984م) *Rafael Alberti* ، ولويس ثرنودا (1904 – 1963م) وغيرهم .

فلو كان لوركا ظهر فى فترة ركدت فيها مياه الأدب وقصرت فيها هامات الشعراء لكان من السهل علينا تفسير ما بلغه الشاعر الغرناطى من مكانة وذيوع ، لاسيما أنه نال من الشهرة ما لم ينله غيره ، حتى إنه تحول عند البعض إلى إسطورة ولعل ذلك يعود إلى أمرين فى غاية الأهمية :

أولهما : القيمة الفنية والإنسانية لأشعاره فضلاً عن طاقته الشعرية الجبارة .

ثانيهما : موته المأسوى خلال الحرب الأهلية الإسبانية .

من هو لوركا ؟

هو فيديريكو غارثيا لوركا *Federico García Lorca* ولد فى الخامس من يونيو 1889م فى إحدى ضواحى غرناطة – فونتيه باكيروس *Fuente Vaqueros* ، أى نبع البَقَّارين ، أو عين البَقَّارين كما يترجمها البعض فى العربية ، هى تقع فى وسط غرناطة أو فحصها [1] ، كما كان العرب الأندلسيون يطلقون عليها .

كان لوركا ينتمى إلى أسرة من الطبقة الوسطى أقرب إلى الغنى ، فأبوه الدون فيديريكو كان مزارعًا ينحدر من أسرة ريفية كريمة النجار غنية ، استطاع بفضل عمله وجهده المتواصل أن يجمع ثروة كبيرة ، إذ كان يمتلك أرضًا جيدة فى غرناطة ، أما أمه فهى " دونيا فيسنتا *Doña Vicenta* " من أسرة أندلسية عريقة ، كانت معلمة مثقفة كلفة بالشعر والموسيقى ، تركت عملها بعد الزواج ، وكانت تُضْفِى على ابنها الأكبر فيدريكو من الحب والحنان ما جعله الطفل المدلل فى أسرته وبين إخوته الثلاثة . [2]

فى ظل هذين الأبوين الطيبين نشأ لوركا ، وترعرع ، وتذوق مع اخوته ألوان الحنان ، وقد ورث عن أمه ذكاءها ، وشعورها المُرهف ، وولعها بالشعر والموسيقى وأخذ من أبيه سخاءه وطيبته ووفاءه ، وائتلفت هذه الصفات فى نفسه لتجعل منه إنسانًا ذا شخصية آسرة مشحونة ، كما يقول عنه الشاعر رفائيل ألبيرتى *Rafael Alberti* "بجاذبية ساحرة شبه كهربائية " . [3]

---

[1] فحص غرناطة *"La Vega de Granada"* : هو الأرض المنبسطة الخصبة فى ظاهر المدينة ، وكانت لكثرة بساتينها والتفاف النبات فيها تشبه ، على عهد المسلمين بغوطة دمشق : انظر : لوركا : الأعمال الكاملة ، جـ 1 / ص 15، ترجمة : د . محمود على مكى ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للثقافة ، ط . الأولى ، 1998م.

[2] فيدريكو غرثيا لوركا : الأعمال الكاملة ، جـ 1 ، ص 16 ، ترجمة : د. محمود على مكى ، ط . الأولى، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، 1998م .

[3] غارثيا لوركا : خوسيه لويس كانو ، ترجمة مزودة بالصور ، ص 7 ، ط . الثانية ، برشلونة ، 1960م .

فى عام 1908م قضى لوركا أولى مراحل دراسته فى ألمرية *Almería* ، ثم انتقل فى عام 1909م مع أسرته إلى غرناطة *Granada* حيث نال شهادته الثانوية ، وفى عام 1914م درس فى كليتى الآداب والحقوق فى جامعة غرناطة ، كما تعلم العزف على العود ، وفى عام 1919م غادرها إلى مدريد ، وأقام بالمدينة الجامعية *Residencia de Estudiantes* التى كانت مركزًا للإشعاع الفنى والفكرى فى إسبانيا آنذاك ، وظل بها دون أن يقطع صلته بمسقط رأسه ، وسرعان ما لمع اسمه فى المدينة شاعرًا موهوبًا واعدًا ، فأصبح موضع رعاية كل الذين سبقوه على الطريق ، وموطن الحفاوة والتقدير فى كل المنتديات الأدبية .[4]

كانت الموسيقى شغله الشاغل ومهوى قلبه ، ويبدو أن موهبته الفنية انحازت إلى الشعر ، ووجدت فيه مجالاً أرحب ، ولعل الظروف تضافرت مع الشعر على جذبه إلى جنته بعد أن كانت الموسيقى فى صباه ألصق به وأدل عليه ، فقد حاول السفر إلى باريس لاستكمال دراسته الموسيقية ، ولكن أسرته منعته من تحقيق هذه الأمنية ، فانصرف إلى الشعر ، على أن صلته بالموسيقى لم تنقطع ، وقد اندفع فيما بعد بتشجيع من الموسيقى العظيم " مانويل دى فايا " *Manuel de Falla* إلى إحياء التراث الغنائى الإسبانى ، فبعث أكثر من ثلثمائة أغنية أندلسية ، عفى عليها النسيان ، فدونها ، ولونها بروحه ، ومنحها حياة جديدة ، ومن الفنانين الذين تعرف عليهم ، وتأثر بهم ، وأصبحت لهم شهرة عظيمة – فيما بعد – نذكر المصور المشهور " سلفادور دالى " *Salvador Dalí* ، الذى أمده بصور سريالية ، بثها فى شعره ، والمخرج السنيمائى " لويس بانويل " *Luis Buñuel* ، اتصل بهم فأخذ منهم ما يلائم روحه ومزاجه ، ونشر لوركا بواكير شعره ، ووجد النقاد فى شعره نكهة " أندلسية " جديده لم يألفها الشعر الإسبانى من قبل ، وتعاقبت [5] دواوينه كسمفونية مترعة بالتألق والإشراق .

أما فيما يتعلق بالإبداع الشعرى ، فقد كتب لوركا سبعة دواوين :

1- ديوان الشعر (1921م) .
2- ديوان الأغانى (1922م) .
3- ديوان أغان غجرية (1928م) .
4- ديوان الغناء العميق (1931م) .
5- ديوان بكائية مقتل إخناثيو (1931م) .
6- ديوان شاعر فى نيويورك (1930م)
7- ديوان التماريت (1934م) .

ويعد لوركا واحدًا من أبرز شعراء جيل الـ 27 ، وإن لم يقصر إبداعه على الشعر ، بل تعداه إلى المسرح ، والمقال والموسيقى ، والرسم ، وإلقاء الشعر ، وتأدية الأغانى الشعبية التقليدية التى راح يجمعها من أفواه العامة من مدن إسبانيا وقراها .

وفضلاً عن كونه شاعرًا رائعًا فقد كان موسيقيًا موهوبًا ، يحسن العزف على البيانو والجيتار ، ويجيد الغناء ، وأغراه المسرح ، فاتخذ منه ملعبًا ، تمرح فيه عبقريته البكر الخصبة ، باسطًا فيه عالمًا متميزًا يقتبس ألوانه من الواقع الإسبانى ، لقد اهتم لوركا منذ نعومة أظفاره اهتمامًا كبيرًا بالمسرح ، ولهذا ألف فرقة " لاباركا " *La Barraca* التمثيلية التى شُكلت خلال السنوات الأولى لقيام الجمهورية الإسبانية الثانية (أبريل 1931م) وقد حظيت هذه الفرقة بدعم الحكومة ، وقامت بجولات عديدة فى أنحاء إسبانيا ، وكانت الحكومة قد عهدت إليه بأن يشرف على المسرح الشعبى ، فألحت به فكرة جريئة ، كانت حلم حياته منذ سنوات ، وهى تعريف جمهور الريف والقرى

---

[4] غرثيا لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، ص 16.

[5] لوركا : الأعمال الكاملة ، جـ 2 ، المقدمة ، ترجمة : د. محمود السيد ، المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998م .

النائية الفقيرة بروائع المسرح الكلاسيكى ، فكانت أفضل وسيلة وأيسرها لتثقيف الشعب والارتفاع بمستواه الفكرى هى تأليف فرقته التمثيلية ، تجوب المدن والقرى ، وكان يسميها بابلونيرودا " عاصفة الشعر السحرية " [6] ، لتقدم إلى الشعب البسيط أروع الآثار المسرحية الإسبانية والعالمية ، وتنقل فى شرايين الوطن الإسبانى كله نبضات قلبه الشاب ، ولم يخفق لوركا فى هذه المحاولة ، إذ أن أعماله المسرحية تعد من أهم علامات المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ، وأهم مسرحياته :

1- لعنة الفراشة (1920م) .
2- غراميات دون برلميلين (1924م) .
3- ماريا بينيدا (1928م) .
4- الجمهور (1930م) .
5- الإسكافية العجيبة (1930م) .
6- حتى تمضى خمس سنوات (1931م)
7- عرس الدم (1933م) .
8- يرما (1934م) .
9- روسيتا العانس أو لغة الزهور (1935م) .
10- بيت برناردا ألبا (1936م) .

كما استسلمت ريشة " لوركا " لإغراء الرسم فخطت ريشته رسومًا ، تبشر بموهبة نابهة فى عالم الألوان وكان رسامًا بارعًا ، أنجز العديد من اللوحات الناجحة التكعيبية على طريقة بيكاسو ، وقد أقام معرضًا ناجحًا فى برشلونة 1929م ، عرض فيه لوحاته ، التى لاقت استحسانًا من الجمهور . كانت عبقرية لوركا فياضة مشاركة فى الشعر والموسيقى والرسم ، والغناء ، وفى عام 1920م التحق بكلية الآداب جامعة مدريد ، ولكن بغير أن ينتظم فى الدراسة ، إذ أن اهتمامه كان منصرفًا إلى المنتديات الفنية والأدبية ، ويتعرف على الشاعر الكبير " خوان رامون " *Juan Ramón Jiménez* ، وفى العام 1928م أصدر مع عدد من أصدقائه مجلة أدبية باسم " الديك " *Gallo* ، وفى السنة التالية يسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ويمر خلال هذه الرحلة بباريس ولندن واكسفورد واسكتلندا ، ومنها إلى كولومبيا الأمريكية ، ويقضى بنيويورك نحو عام ونصف .

وفى مدينة نيويورك مدينة الحمأ والحديد – كما كان يسميها ، كان لوركا يضرب فى شوارعها حائرًا قلقًا ، وإذا به يكتشف فى أحد الأحياء " هارلم " حى الزنوج المحرومين المنبوذين حرارة إنسانية ، تشده إليهم ، وتغريه ، وهو الشاعر المرهف بتصوير آلامهم وضحكاتهم الصافية البيضاء .

" وألحت عليه فكرة الموت ، وانغرست فى أعماقه كالمدية الحادة ، وتسارع معانيها إلى شعره فينظم فى ظل يأسه ومرارته وقلقه ديوانه " شاعر فى نيويورك " [7] وكانت إقامته فى نيويورك من أصعب الفترات التى مرت عليه فى حياته ، فقد شهد عن قرب معاناة الزنوج بخاصة ، والملونين بعامة ، والقادمين من بلاد فقيرة ، فأدرك كم التناقض المريع ، بين المشاعر البدائية والفراغ العميق الذى تخلفه حضارة الآلة حين تسيطر على كل شىء ، فتحطم القيم الإنسانية العالية ، وتجعل الكلمة العُليا للدولار ، وتورث الإنسان القسوة والخواء الداخلى ، وقد عبّر لوركا عن هذا بقوله : " أردت أن اكتب قصيدة العنصر الأسود فى أمريكا الشمالية ، وأن أظهر الألم الذى يشعر به السود فى عالم مخالف لهم ، إنهم عبيد ما اخترع الرجل الأبيض من آلات " [8] ولعل هذه

6 مذكرات بابلونيرودا : ترجمة : د. محمود صبح ، مؤسسة الدراسات العربية ، بيروت ، 1975م .

7 فيدريكو غرسية لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د. ماهر البطوطى ، جـ 2 / ص137 ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، 1998م .

8 لوركا : شاعر فى نيويورك : ترجمة : ماهر البطوطى ، جـ 2 ، ص 150 ، المشروع القومى للترجمة ، 1998م.

المظاهر هى التى نقلت ديوانه من " الشعبية " إلى " السريالية " وجاء صدى للصدام العنيف بين مشاعره ، والعالم الأمريكى الذى عاش فيه .

لخص لوركا تجربته الأمريكية : " لقد كانت من أشد التجارب فائدة فى حياته ولا غرو فإن إقامته فى نيويورك ، بإجماع النقاد ، قد غيّرت رؤيته تجاه الحياة وتجاه الإنسان وتجاه الفن " . [9]

كان لوركا ذا أثر بالغ فى تطوره الفنى ، وفى تعمق فكره الاجتماعى ، ومن نيويورك سافر إلى كوبا ، وأمضى هناك شهورًا ، ألقى فيها محاضرات ومقطوعات من شعره ، ثم عاد إلى بلاده ، لقد آن للطائر المغترب أن يبسط جناحيه ، وأن ينكفئ إلى عُشه الدافئ الحبيب ، ها هو يعود إلى وطنه ، يتغنى بأجمل الشعر أنى حل ، لقد سماه أصدقاؤه " عندليب الأندلس كان يُلقى قصائده بصوته العذب ناقلاً سامعيه إلى جو ملىء بالحنان ، كان إلقاؤه يمنح كلمات قصيدته نشوة نابضة بالحياة " . [10]

" ومع بداية الحرب الأهلية (1936م – 1939م) يغادر لوركا مدريد إلى غرناطة على غير رغبة أصدقائه ، ولم يدر بخلده أن شمس حياته قد أوشكت على المغيب ، وفى التاسع عشر من شهر أغسطس يغتال فيدريكو غرسية لوركا ، ويعثر على جثته وسط أشجار الزيتون " [11] ، ومنذ ذلك الحين انطفأ الصوت والوجه ، وجفت الينابيع فى غرناطة الحزينة ، ومنذ أن لقى لوركا مصرعه [12] فى ملابسات لم يكشف عنها النقاب – آنذاك – والجدل محتدم حول تلك الواقعة الفاجعة التى دفعت خصوم الجنرال فرانكو فى الشرق والغرب ، إلى أن يلقوا تبعة مقتل " لوركا " على ذلك النظام ، وهذا ما نفاه د . محمود على مكى ؛ إذ يقول : " إن من قال إن مقتل لوركا على يد ذلك النظام تهمة باطلة ، فلم يكن للنظام مصلحة فى قتله ، بالإضافة إلى أن معالم هذا النظام لم تكن قد تحددت بعد ... كما أنهم أيضاً حزب الكتائب (الفالانج) بتدبير جريمة مقتل لوركا ، وهى تهمة أشد بطلانًا ؛ لأن قادة هذا الحزب فى غرناطة هم على وجه التأكيد الذين بذلوا كل جهد لحماية لوركا واستنقاذه لا لعلاقة سياسية بين لوركا وبينهم ، وإنما لعلاقة شخصية ، ترتبطه بأسرة معروفة ، تنتمى لهذا الحزب " . [13]

وهناك من راح ينسب إلى لوركا شيوع نزعات شيوعية ويسارية فى أعماله ، وقد علق على هذا د. مكى بقوله : " إن لوركا برىء من كل هذا ، فليس فى إنتاجه الشعرى الوفير أدنى بينة على ذلك ... بل كان لوركا شديد النفور من السياسة ، وكان أشد نفورًا من استغلال اسمه أو شعره فى الصراعات السياسية . [14]

أضف إلى ذلك أن لوركا لم يكن سياسيًا ، ولم يكن ينتمى إلى حزب من الأحزاب أو أى مذهب من المذاهب السياسة التى كانت سائدة قبل الحرب الأهلية الإسبانية التى نشبت عام 1936م ، وقد أكد لوركا هذا بقوله : " أنا أبدًا لن أكون سياسيًا ، أنا ثورى وليس هناك من شاعر حقيقى إلاّ وهو ثورى ، ألا تعتقد ذلك ؟ . لكنى لست بسياسى ، أنا أبدًا لن أكون سياسيًا " . [15]

---

9 فيديريكو غرسية لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : ماهر البطوطى ، جـ 2/ ص 139 .

10 فيديريكو غارسيا لوركا : عندليب الأندلس ، د . بديع حقى ، ص 52 ، مجلة المعرفة ، العدد (4) ، 1965م .

11 لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد الثانى / المقدمة ، ترجمة : د . محمود السيد .

12 José VILA SAN JUAN: *García Lorca Asesinado: Toda la verdad,* Barcelona, 1975.
Ian GIBSON: *El Asesinato de Federico García Lorca,* Aguilar, 2005.
Vida, Pasión y Muerte de Federico García Lorca, 2006.

13 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د. محمود على مكى ، جـ1 / ص 21 .

14 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د. محمود على مكى ، ج-1 / ص 22 .

15 لوركا : الأعمال الكاملة ، دار نشر آجيلار ، مدريد ، 1962م *García Lorca, Biografía ilustrada, P. 124.*

بعد هذا التقديم السريع لشاعر إسبانيا العظيم فيدريكو غرثيا لوركا نعرج نحو إبداعه نتلمس من خلاله الإشراقات العربية فى شعره .

يقول لوركا : " إن العربى " *Morisco* نحمله جميعًا فى ذواتنا " [16] وفى مقابلة ، أجراها الصحفى الإسبانى " ميندیث دومينغيث " *Méndez Domínguez* 1931م مع " لوركا " يقول : " إن لوركا يؤمن بالعروبة *Arabia* ، إن لوركا لهو أكثر منه عربياً منه أندلسيًا ، أكثر أبًا منه ابنًا " . [17]

ويصف " لوركا " الحالة التى تعترى المرء ، وهو فى جبال سييرا نفادا يقول : " إن المرء يشعر وهو فى وسط سييرا نفادا أنه فى قلب إفريقيا – يعنى (تونس والجزائر والمغرب) – إن العيون التى هنا كلها إفريقية تمامًا ، ذات شراسة وذات شعر يجعل البحر الأبيض المتوسط قابلاً للصمود " . [18]

وفى حديث له يقول : " فى كل مكان ثمة دواع عربية " . [19]

وفى آخر يقول : " هُنا وهُناك ترن أصداء الصبار العربى " . [20]

وفى لقاء أجراه معه رسام الكاريكاتير باجاريا *Bagaria* فى سنة 1936م آخر سنى حياته يسأله فى محاورة : " هل ترى أن تسليم مفاتيح غرناطة كان عملاً موفقًا ؟ (يقصد استسلام غرناطة المتمثل فى تسليم آخر ملوكها المسلمين أبى عبد الله مفاتيح المدينة للملكين الكاثوليكيين) قال : بل كانت لحظة مشئومة وإن كانوا يرددون عكس ذلك فى المدارس ، لقد فقدنا منذ تلك اللحظة حضارة جديرة بالإعجاب .. فقدنا شعرًا وملكًا وعمارة وفنًا ورهافة حس لا مثيل لها فى العالم ، لكى يتحول بلدنا بعد ذلك إلى مدينة فقيرة جبانة ... بلد تضطرب فيه أسوأ ' البرجوازيات ' الإسبانية " . [21]

وفى حوار آخر مع الأديب إيرنستو خيمينث كاباييرو *Jiménez Caballero* يسأله هذا عن صديق له من الشخصيات التاريخية القديمة ، فيجيبه : " أبو عبد الله " بالإسبانية *Boabdil* . [22]

من هذا المنطلق يتوارد فى الخاطر سؤال مُلح ، تُرى هل كان لوركا من أصل عربى ؟ وهل أخلُص إليه من أبيه أو من أمه أو من كليهما قطرات من دم عربى ، كان يجرى فى عروق أجداده ؟

وكان المستشرق الإسبانى " خوليان ريبيرا " *Julián Ribera* قد تبنى فكرة الأصل العربى لمسلمى إسبانيا ، فمن الجائز أن يكون والد " لوركا " من أعقاب الموريسكيين العرب الذين تنصروا بعد سقوط الإمارة العربية فى الأندلس . [23]

وقد ذهب كثير من النقاد والباحثين إلى أن " لوركا " تأثر تأثرًا كبيرًا بالشعر العربى الأندلسى خاصة والمشرقى بصفة عامة .

ومن المؤيدين لهذه الرؤية المستشرق الإسبانى إميليو غرسية غومث *Emilio García Gómez* الذى ذكر أن " لوركا " نفسه قد أبلغه أنه ألف ديوانًا بعنوان " ديوان التماريت " *Diván del Tamarit* يضم مجموعة من الغزليات والقصائد تكريمًا لشعراء غرناطة العرب ، وكلمة (تمريت) هى كلمة مركبة من كلمة " تمر " العربية ومقطع " يت " الذى يُضاف فى اللغة اللاتينية فى آخر الكلمات للدلالة على الكثرة كما هو الحال فى كلمة " مجريط " التى هى مركبة من كلمة " مجرى " العربية ، ومقطع " يت " = " يط " اللاتينى ، أى مجارى مياه كثيرة

---

16 الأعمال الشعرية الكاملة : فدريكو غرثيا لوركا ، ص 1568 ، دار آجيلار ، مدريد ، 1962م .

17 الأعمال الشعرية الكاملة : فدريكو غرثيا لوركا ، ص 1700 ، دار آجيلار .

18 الأعمال الشعرية الكاملة : فدريكو غرثيا لوركا ، ص 1659 ، دار آجيلار .

19 الأعمال الشعرية الكاملة : ص 51 .

20 الأعمال الشعرية الكاملة : ص 51 .

21 الأعمال الكاملة للوركا : نشر دار آجيلار ، مدريد ، 1962م ، ص 1763 – ص 1764 .

22 نفس المصدر : ص 16.

23 فى الأدب الأندلسى : د. أحمد هيكل ، ص 149 ، ط . الثانية ، دار المعارف ، 1982م .

وهذا معنى كلمة مدريد عاصمة إسبانيا الحالية ، وقيل إن كلمة " تماريت " نسبة إلى بستان " التماريت " أحد بساتين الأسرة ، وأن الكلمة تعنى عراجين التمر ، أو سعف النخيل ، أو النخيل نفسه" [24].

وقد علق الصحفى " لويس غونغوارا " *Luis Góngora* على محاضرة لوركا التى كان قد ألقاها فى برشلونة عام 1930م ، قائلاً : " ديوان التماريت الذى أهداه إلى الشعراء العرب ، الذين نقشوا أشعارهم على جدران قصر الحمراء " [25].

لاشك أن " لوركا " كان على معرفة كبيرة بالشعر العربى عامة والأندلسى خاصة ، وأنه قرأ كل ما كان يكتب عن هذا الشعر ، أو يترجم إلى الإسبانية ، كما كان على اطلاع بالشعر الفارسى ، فقد ذكر لوركا عددًا من شعراء المشرق مثل : الشاعر " عمر الخيام " و " حافظ الشيرازى " واستشهد بشعرهما وكان مرجعه فى ذلك كتاب " أشعار أسيوية " *Poesías Asiáticas* ، وقد صرح " لوركا " بهذا : إذ يقول : " لقد شعرت بعاطفة جياشة حين قرأت الأشعار الآسيوية التى ترجمها " غرسية ماريا دى نابا " *García María de Nava* ونشرها فى باريس عام 1839م ، أما عن علاقته بالشعر الأندلسى فربما ترجع إلى اطلاعه على كتاب " شعر العرب وفنهم فى إسبانيا وصقلية " للألمانى " أدولفو فيديريكو دى شاك *Adolfo Federico de Shack* الذى ترجمه إلى الإسبانية " خوان باليرا " *Juan Valera* . [26]

ومما يدعم هذا الزعم ما ذكره " لوركا " فى معرض حديثه عن ديوان الغناء العميق ، إذ يقول : " حين تبلغ الأغنية الأندلسية حد الألم والعشق تتآخى فى التعبير مع أبيات شعر العرب والفرس الرائعة " . [27]

ويواصل ... " إن مواضيع التضحية والحب العفيف بلا هدف والخمر نجدها لدى شعراء آسيويين رائعين ، ويستشهد بشاعرين وإن كنا لم نسمع بهما فى الأدب العربى – الأول *Seraje-al Warak* " ، وتُقرأ فى العربية " سراج الوّراق " ، وننظم ما أورده لوركا لهذا الشاعر على بحر البسيط يقول :

- إن اليمام الذى بالآه أرقني مثلي له لهب فى الصدر يتقدُ

أما الشاعر الثانى فهو " *Ibn Ziati* " وتُقرأ فى العربية " ابن زياد " ، وقد ذكر له مرثية فى محبوبته نحاول نظم ما أورده لوركا لهذا الشاعر على بحر الطويل ، يقول :

- يُعزوننى أنّى أزور تُرابها ∴ فقلتُ وهلْ قبرٌ لها غير أضلعى[28]

أضف إلى هذا عند قراءة " ديوان التماريت " نجد أن عناوين قصائد هذا الديوان ، وهو آخر أعمال لوركا إما تبدأ بكلمة غزل العربية *"Gacel"* ، وإما بكلمة قصيدة العربية أيضًا *"Casida"* ولاشك أنه استمدهما من الشعر العربى .

وقد استعمل " لوركا " لفظة غزلية إحدى عشرة مرة فى هذا الديوان ، وكلمة قصيدة تسع مرات على هذا النحو :

---

[24] لوركا : د . محمود صبح ، مجلة المعرفة ، العدد (191 – 192) ، 1978م ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، دمشق.
[25] غرسية لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 1802 ، ط . آجيلار ، مدريد ، 1962م .
[26] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 ، المقدمة .
[27] لوركا : الأعمال الكاملة ، ص 51 ، ط . آجيلار ، مدريد ، 1962م .
[28] لوركا : الأعمال الكاملة ، ص 52 ، ط . آجيلار ، مدريد ، 1962م .

1- غزلية عن الحب المفاجئ .
2- غزلية عن الحضور الرهيب .
3- غزلية عن الحب اليائس .
4- غزلية عن الحب الخفى .
5- غزلية عن الجذر المر .
6- غزلية عن الطفل الميت .
7- غزلية عن ذكرى الحب .
8- غزلية عن الموت الغامض .
9- غزلية عن روعة الحب .
10- غزلية عن الهروب .
11- غزلية عن الحب فى المائة

أما القصائد فهى كالتالى :

1- قصيدة جريح الماء .
2- قصيدة النحيب .
3- قصيدة الأغصان .
4- قصيدة المرأة الراقدة .
5- قصيدة حلم فى الهواء الطلق .
6- قصيدة اليد المحالة .
7- قصيدة الوردة .
8- قصيدة الصبية الذهبية .
9- قصيدة الحمائم الداكنة. [29]

ولعل ظهور " مذهب الحداثة " *Modernismo* فى مطلع القرن العشرين فى إسبانيا وأمريكا اللاتينية كان له عظيم الأثر على لوركا وتأثره بالعربية ، ولاسيما الشعر ، وكان من أبرز سمات شعراء هذا المذهب هو التغنى بالشرق وروائعه ، ومفاتنه ، لذا أكثروا من استخدام الكلمات ذات الأصل العربى ، وقد تركوا بصماتهم على من لحقهم من الشعراء . وكان من أبرز الشعراء الإسبان المحدثين الذين نزعوا نزعة عربية فى حياتهم وشعرهم ، الشاعر " مانويل ماتشادو " *Manuel Machado* (1875 – 1935) [30] ، وهو أول من استعمل كلمة " الدِّفلى " مع قلب الحروف *Adelfos* فى شعره ، وقد أكثر الشعراء الإسبان بعده من استخدام هذه اللفظة التى ترمز للمرارة والألم واللامبالاة – وكان " لوركا " من بينهم إذ استخدم هذه اللفظة إحدى عشرة مرة فى الشعر ، و ثلاث مرات فى المسرح ، وهى تعنى زهرة " الدِّفلى " مأخوذة عن العربية ، وكثيرًا ما تُستخدم فى الشعر رمزًا للحزن العميق تحت ظاهر بهيج ، فهى زهرة جميلة ذات ألوان متعددة ، قد تكون حمراء ، أو صفراء أو بيضاء ، أو ضاربة إلى اللون الوردى ، ولكن ليس السواد من ألوانها إلا أن "لوركا" فى قصيدته التى يعقد فيها مقابلة ما بين أحاسيسه وألوان تلك الزهرة اتخذ السواد لونًا لها – إزاء موت حبيبته – يقول فى قصيدة " بركة صغيرة " . [31]

- نظرت فى عينيك
- وفكرى فى روحك
- (دفلى بيضاء)
- نظرت فى نفسى
- وفكرى فى ثغرك
- (دفلى حمراء)
- نظرت إلى نفسى فى عينيك
- ولكنك كنتِ ميته

---

[29] لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، ترجمة : د . محمود السيد ، جـ 2 / ص 7 – ص 47 ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، ط . الأولى ، 1988م .

[30] انطونيو ماتشادو : مختارات من الشعر الإسبانى المعاصر ، د . محمود صبح ، ص 23 – ص 52 ، بغداد ، 1973م .

[31] لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 186 ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، ط . الأولى ، 1998م .

- (دفلى سوداء)

واستخدمها فى قصيدة " طفلتى ذهبت إلى البحر " [32]
يقول :

- بين أزهار الدفلى والأجراس
- كانت تتهادى خمسة مراكب
- مجاذيفها فى الماء
- وأشرعتها فى النسيم

وكذلك فى قصيدة " حوار المرّ "
يقول :

- يا مـرُّ
- زهور الدفلى فى فناء بيتى
- قلب اللوزة المرة
- يا مـرُّ [33]

ولعل إعجاب " لوركا " بكبار الشعراء الإسبان فى عصره ما جعله ينهل ، ويعب من العربية وشعرها متلمسًا فى ذلك من سبقوه فى نزوعهم نحو كل ما هو عربى ، ولاسيما الشعر .

فالشاعر " خوان رامون خمينث " *Juan Ramón Jiménez* كان من أقرب الشعراء الإسبان إلى الشعراء الأندلسيين العرب ، فى أسلوبه الرقيق وفى عشقه للكلمة المعبرة الموحية ، وكذلك فى صوره واستعاراته ، وفى رفاهة حسه تجاه الأشياء الرقيقة الموحية كالوردة ، والعندليب والينبوع ، وكان " لوركا " معجبًا به يقلده فى مستهل حياته ومقتبل شبابه . [34]

وهناك الشاعر " فرناندو بيالون " *Fernando Villalón* كان تأثيره فى " لوركا " واضحًا أيضًا ، فلا يُعرف شاعر فى الإسبانية أكثر ولعًا منه بالمواضيع العربية وأكثر اعتزازًا بأصله العربى يقول فى قصيدة " غوطة شريش " *Campiña de Jerez*.

- ها هى الشمس تميل إلى الغروب .
- أربع مهر كستانية اللون .
- تخب مختالة .. تضحك الجلاجل ...
- تمضى عربة الحوذى وهى مليئة بأزهار القرنفل
- وبنساء سمراوات ذوات أهداب وطفاء
- حفيدات أولئك اللواتى أحضرهن (طارق) إلى إسبانيا
- وهُنا خلال سبعة قرون ما فتئن يلدن
- لن تقوى " قشتالة " على أن تجتث عرقكن . [35]

---

[32] لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ 1 / ص 143 .

[33] لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ 1 / ص 310 .

[34] خوان رامون خيمينث ، ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره : د . محمود صبح ، مختارات من الشعر الإسبانى المعاصر ، ص 54 – ص 62 ، بغداد ، 1973م .

[35] فرناندو بيالون : مختارات شعرية باللغتين ، د . محمود صبح ، ص 34 – ص 35 ، المعهد الإسبان العربى للثقافة ، مدريد ، 1976م .

هذا وقد اعترف العديد من الشعراء الإسبان من جيل " لوركا " بتأثير الشعر الأندلسى فى أعمالهم الشعرية مثل " رافائيل ألبرتى *Rafael Alberti* ، و " داماسو ألونسو " *Dámaso Alonso* ، و " خورخه غيين " *Jorge Guillén* ، و " خيرادو دييغو " *Gerardo Diego*.

ولكن " لوركا " ولسبب غير مفهوم ، لم يعترف بهذا التأثير ، على حين أنه سجل تأثره فى مجموعة قصائده المعروفة باسم " أندلسيات " بتأثير الشعر اليابانى " الهاى – كاى " *Hai-Kay* [36] ، ويعلق الناقد الإسبانى " دياث بلاخا " بمناسبة مقطوعة " لوركا " التى تحمل عنوان " زهرة " ، يقول : " كان أولى به – أن يذكر الشعر الأندلسى الذى نجد فيه صورًا لم يستطع مجاراتها حتى أجرأ الشعراء الطليعيين " ، ويستشهد لذلك ببيتين للشاعر الأندلسى أبى عامر بن شُهيد فى رسم صورة الأزهار وهى تتطلع لقطرات المطر المنسكب ولمرور قطع السحاب ؛ يقول على البحر الطويل :

- وقد فغرت فاها دُجىً كل زهرة إلى كل ضرع للغمامة حافل
- ومرت جيوش المُزن رهوًا كأنّها عساكر زنج مذهبات المناصل [37]

أما " لوركا " فى وصف الزهرة فيقول :

- شجرة الصفصاف العظيمة
- كانت تتساقط تحت المطر
- آه من القمر المستدير
- على الأغصان البيضاء [38]

فالأدلة عديدة ومتنوعة التى نستنبط منها الإشراقات العربية فى أعمال " لوركا " فمثلاً حينما نقرأ ما قاله فى وصف غرناطة يقول :

" أما غرناطة فتقوم على جبلها وحيدة منفردة منعزلة ، وكأنما لا منفذ لها تطل منه على العالم إلا من أعلى ... من قبل السماء والنجوم ! وهى لذلك زاهدة فى الرحلة والمغامرة ، منطوية على نفسها فى استكانة وقنوع ، هما أشبه بتوكل المتصوفة " . [39]

لو نظرنا فى الشعر الأندلسى لوجدنا أن هذا الوصف ليس ببعيد عما قاله ابن زمرك شاعر غرناطة فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى فى قصر الحمراء بغرناطة حينما كانت شمس الإسلام فى الأندلس موشكة على المغيب يقول على الطويل :

- به القُبَّة الغراء قلَّ نظيرها ∴ ترى الحسن فيها مستكنا وباديا
- تمد لها الجوزاء كف مصافح ∴ ويدنولها بدر السماء مناجيا
- وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت بها ∴ ولم تك فى أفق السماء جواريا [40]

---

36 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 ، المقدمة .

37 انظر : الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ 1 / ص 11 ، والأبيات ، انظر : رايات المبرزين وغايات المميزين : لابن سعيد المغربى ، ص 125 ، تحقيق : محمد رمضان الدايه ، 1987م .

38 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود السيد ، جـ 2 / ص183 .

39 لوركا : الأعمال الشعرية الكاملة ، جـ 1 / ص 11 .

40 انظر : رسالة الدكتواره ، " ديوان ابن زمرك الغرناطى " جمع وتحقيق ودراسة ، د . منى ربيع بسطاوى ، ص 173 ، جامعة جنوب الوادى – كلية الآداب فى قنا ، 1996م .

ألـيس مـن غريـب الاتفـاق مـا نـراه فـى كلمـات " لوركـا " حـين يصـف عزلـة غرناطـة وأنهـا تبدو كما لو لم يكن لها منفذ إلاّ من قبل السماء والنجوم ، وما نجده فى أبيات شاعر غرناطة " ابن زمرك " الذى يصف قصر الحمراء بغرناطة " بأن النجوم الزُهر " تهوى لو أنها شُدَّت إلى سوارى القصر ، وأن " الجوزاء " تمد لقبته " كف مصافح " ، وأن " بدر السماء " يدنو إليها مناجيًا ؟

ونشير إلى مثال آخر يبدو فيه تأثر " لوركا " بالشعر العربى واضحاً ، ولاسيما فى محاكاته لبعض معانى الشعر الأندلسى .

ففـى قصـيدة " القـبض علـى أنتونيـو الكـامبوريو فـى طريقـه إلـى إشـبيلية يقـول " لوركا " :

- أسمر مثل قمر أخضر
- يمضى متهاديًا فى رشاقة
- وخصل شعره المدهون
- تلمع بين عينيه
- وفى منتصف الطريق
- قطف ليمونات مدوّرة
- ومضى يقذفها إلى الماء
- حتى أحاله إلى ذهب
- وفى منتصف الطريق
- تحت أغصان شجرة دردار
- قبض عليه جنود الحرس المدنى الجوال [41]

هذا المعنى نجده فى قول الشاعر الأندلسى " أبو بحر صفوان بن إدريس " فى قصيدته التى يصف فيها شابًا يرمى نارنجًا فى بركة يقول على الرجز :

- وشـــادن ذى غنـــج دلـــه يروقنـا طـورًا وطـورًا يـروع
- يقـذف بالنـارنج فـى بركـة كلاطـخ بالـدم بُـرد الـدروع
- كأنّهـــا أكبـــاد مشـــتاقة يقـذفها فـى لـج بحـر الـدموع [42]

وحين ننظر إلى الأغنية الشعبية عند لوركا " الرومانثة " التى يتغزل فيها بثلاث " فتيات عربيات " نجد أنها تسير فى طريقة نظمها على طريقة الموشحة الأندلسية التى كانت شائعة فى الأندلس فى القرن السادس عشر الميلادى ، حيث يتكرر فيها الجزآن الأخيران من مطلعها فيصران أقفالاً ينتهى بها كل دور ، ويتغنى فيها الشاعر بثلاث عربيات فى جيّان ، يقول :

---

41 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 351 .

42 فوات الوفيات : محمد شاكر الكتبى ، تحقيق : محمد بن محى الدين عبد الحميد ، طبعة السعادة ، القاهرة ، 1951م، جـ 1 / ص 395 ، وانظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقرى التلمسانى ، جـ 10 / ص 365 – ص 376 ، ط . محى الدين عبد الحميد ، وانظر ترجمته فى معجم البلدان ، جـ 12 / ص 10 .

- ثلاث عربيات تيمننى
- فى جيّان
- عائشة ، وفاطمة ، ومريم
- ثلاث عربيات ظريفات
- كن يرحن يجمعن الزيتون ،
- فيجدنه قد جُمع
- فى جيان
- عائشة ، وفاطمة ، ومريم
- فيرجعن قانطات
- والألوان ضائعة
- فى جيان
- عائشة ، وفاطمة ، ومريم
- دعهن
- من أنتن يا سيداتى
- يا سالبات حياتى
- نحن مسيحيات – كن مسلمات
- فى جيّان
- عائشة ، وفاطمة ، ومريم [43]

وعند القيام بتحقيق ديوان الشاعر الغرناطى " ابن زمرك " [44] وجدنا من بين قصائد الديوان مقطوعة تشبه مقطوعة لوركا تمامًا ، حتى فى الألفاظ كما أشارت إلى ذلك المستشرقة الإسبانية ماريا خيسوس روبيرا . [45]

وعند النظر إلى المقطع الأخير الذى أضافه لوركا وقال فيه : دعهنّ ، تفهم منه كما لو كان هناك من يعترض الفتيات ويحاول الاعتداء عليهن ، ولعل فى هذا تعريضًا بالموريسكيين الذين اضطهدوا فى محاكم التفتيش عند إجبارهم على التنصر ، وفى قوله " يا سالبات حياتى " يدل على مدى ارتباطه بما يمثلنه من دلالات يختصرها فى قولهن " نحن مسيحيات ، كنّ مسلمات " ، وهذا يعنى أن الأندلسيين المسيحيين هم حفدة الأندلسيين المسلمين .

فمقطوعة " لوركا " هذه تشبه قصيدة قد وردت فى ديوان ابن زمرك الغرناطى ، إذ يقول :

- ثلاث عربيات عشقتهن / فى جيّان / عائشة وفاطمة ومريم
- ثلاث عربيات فائقات الجمال / ذهبن يجمعن الزيتون / فوجدنه قد جمع
- فى جيّان / عائشة وفاطمة ومريم [46]

---

43 انظر : لوركا ، الأعمال الكاملة ، ص 658 – ص 659 ، ط . آجيلار ، مدريد ، 1962م ، وانظر : تاريخ الفكر الأندلسى لأنخل جونثالث بالنثيا ، ترجمة : د . حسين مؤنس ، القاهرة ، 1955م ، ص 27 – ص 628 .

44 ديوان ابن زمرك : جمع وتوثيق وتحقيق : د . منى ربيع ، جامعة جنوب الوادى ، كلية الآداب فى قنا ، 1996 .

45 María Jesús RUBIERA: *Al – Andalus*, Vol. XXX XIII, Madrid Granada, 1972, Fasc. 1, pp. 133-143.

46 انظر : لوركا ، الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 ، ص 45 .
– وانظر : تاريخ الفكر الأندلسى لأنخل جونثالث بالنثيا ، ترجمة : د . حسين مؤنس ، ص 27 – ص 628 ، القاهرة ، 1955 .
– وانظر : رسالة الدكتوراه ، د . منى ربيع بسطاوى ، ص 212 ، 1996م .

وقد أشارت إلى هذا المستشرقة الإسبانية د . ماريا خيوسس روبيرا [47] بأن قصيدة " لوركا " تشبه تمامًا قصيدة ابن زمرك فى الألفاظ والمعانى .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الأغنية متأثرة فى مضمونها بموضوع كان قد طرقه الشعر العربى من قبل ، فظاهرة التغزل بثلاث فتيات وجد فى مقطوعة منسوبة للخليفة العباسى فى المشرق هارون الرشيد ، يقول على الكامل :

- ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبى بكل مكان

كما عارضها الخليفة الأموى فى الأندلس " سليمان بن الحكم " الملقب بالمستعين ، بقصيدة يقول فيها على الكامل أيضًا :

- عجبًا يهاب الليثُ حد سناني وأهاب لحظ فواتر الأجفان

- وتملكت قلبي ثلاث كالدُّمى زُهر الوجوه نواعم الأبدان [48]

وقد ورد فى محاضرة " لوركا " التى ألقاها عن الشاعر القرطبى " لويس جونجورا " لإحياء ذكراه فى عام 1927م حديثًا عن هذه الأغنية ، يقول : " لست أدرى لماذا الاستغراب من توارد الخواطر ، يبدو لى أن العربيات الثلاث فى " الرومانثة " يأتين لكى يضربن على دفوفهن والألوان ضائعة والأقدام رشيقة " . [49]

ويفسر النقاد والشارحون عبارة " والألوان ضائعة " التى وردت فى الكلمة السابقة بأن العربيات الثلاث فى خجلهن وقنوطهن ، فقدنّ ألوان وجوههن ، وهناك من يرى أن " لوركا " كان يعنى بهذه العبارة " الألوان ضائعة " ضياع الحضارة الأندلسية . [50]

ونستطيع الإمساك بظلال عربية عند " لوركا " استمدها من الموروث الشعبى العربى ، ففى قصيدة " عاشق " نجد معانى القصيدة شديدة الصلة بظاهرة معروفة فى الموروث الشعبى العربى ، وهى عادة " حرق البخور والزعتر " ، يقول :

- عاشق صغير
- فى بيتك يحرقون الزعتر
- لا تكثر من الذهاب والمجئ
- فأنا أقفل بابى بمفتاح
- بمفتاح من فضة خالصة
- مربوط إلى شريط
- وعلى الشريط مكتوب :
- قلبى بعيد [51]

---

47 María Jesús RUBIERA*: Al–Andalus,* Vol. XXX XIII, Madrid Granada, 1972, Fasc. 1, pp. 133-143.

48 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 45 ؛ وانظر : تاريخ الفكر الأندلسى لأنخل جونثالث بالنثيا ، ترجمة : د . حسين مؤنس ، القاهرة ، 1955م ، ص 627 – ص 628 ؛ وانظر : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : ابن بسام ، القسم الأول ، جـ 1 / ص 47 .

49 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 44 .

50 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 151 .

51 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 186 .

كما يظهر هذا الموروث الشعبى العربى عند لوركا فى قصيدة أخرى وهى " أيّم فى قداس الصلاة " ، يقول :

- تحت المهد المعطر بالبخور
- تبدين غافية
- كانت عينا ثور تنظران إليك
- وكانت مسبحتك تتساقط مطر [52]

كما يظهر التأثر بالموروث الشعبى العربى فى قصيدة " رقية " ، يقول لوركا :

- على الدخان الأبيض
- دخان العود المحترق
- يبدو كجرذ أعمى
- أو فراشة تائهة [53]

من هذا يتبين لنا عمق الارتباط بين الموروث الشعبى المعايش فى شعر " لوركا " ، وكيف يدخل التراث العربى الروح على صعيد الشكل والمضمون .

لقد تلاحم العنصران (العربى والإسبانى) فى شعر " لوركا " (فى الشكل) فكانت الأغانى الشعبية والحكايات الفلكلورية تسربل قصائده ، كما تطرز جانب النهر الورود ، ويمكن أن نتلمس الإشراقات العربية عنده فى كثرة استخدامه للأقفال المتكررة فى قصائده وهى تشبه ما نعرفه فى الموشحات الأندلسية .

والقفل هو مصطلح يُستخدم فى صناعة التوشيح للدلالة على الجزء الثانى من " البيت " أى المقطوعة فى الموشحة ، ويسمى أيضًا " السّمط " .

وقد يكون متكررًا بألفاظه ، أو يكون ملتزمًا بقافية تتكرر فى جميع الأقفال ، وهو الذى يبرز الطابع الغنائى للموشحة بما فيه من موسيقية رتيبة متكررة ، هذا ما نجده متمثلاً عند " لوركا " فى العديد من قصائده نذكر من بينها قصيدة " بركة : أغنية أخيرة " . [54]

حيث يكرر " لوركا " السطر الشعرى " ها قد أقبل الليل " يردده بعد كل بيتين ، يقول :

- ها .. قد أقبل الليل
- أشعة القمر
- تطرق سنديان المساء
- ها .. قد أقبل الليل
- شجرة كبيرة تتدبر
- بكلمات الأغانى
- ها .. قد أقبل الليل
- لو أنكِ أتيتِ لرؤيتى
- عبر دروب الهواء
- ها .. قد أقبل الليل

---

[52] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 183 .
[53] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 293 .
[54] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 88 .

الشيء نفسه نجده فى قصيدة " أربع أناشيد صفراء " حيث يتكرر القفل ثلاث مرات ، مرة فى المطلع ، وثانية فى الوسط ، وثالثة فى النهاية ، يقول :

- على سماء الأقحوان
- أمشى
- أنا أتخيل نفسى هذا المساء
- كما لو كنت قديسا
- لقد وضعوا القمر
- بين يدىّ
- فعدُت إلى وضعه من جديد
- فى آفاق الفضاء
- وكافأنى الرب على ذلك
- بأن منحنى الوردة وهالة القداسة
- على سماء الأقحوان
- أمشى
- والآن أجدنى سائرًا
- فى هذا الحقل
- لكى أحرّر الصبايا
- من مغازليهن الأشقياء
- وأهب لكل الصبيان
- نقودًا من الذهب
- على سماء الأقحوان
- أمشى [55]

كما نجد ذلك فى قصيدة " قداس على روح ميت " ، يقول لوركا :

- حينما يحل بى الموت ،
- ادفنونى مع قيثارتي
- تحت التراب ،
- حينما يحل بى الموت
- ادفنونى بين شجر البرتقال
- وأغصان النعناع
- حينما يحل بى الموت ،
- ادفنونى – إذا أردتم
- فى وردة الريح الدوارة [56]

فالموشحة بنيت على أساس الأغنية الأندلسية المحلية [57] ، حيث تكتب الموشحة بالعربية الفصحى عدا " الخرجة " التى تكتب بالأندلسية العامية (الرومانثة) . وقد انتقل تأثيرهما – هى والزجل المتفرع منها – من الأندلس إلى المشرق ، وقد تأثر بها الأدب الأوربى أيضًا ، كما ظهرت

---

55 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 92 .

56 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 295 .

57 فى الأدب الأندلسى : د . أحمد هيكل ، ص 153 ، ط . الثانية ، دار المعارف ، 1982م .

عند الشعراء الإسبان الغنائيين ، وعرفهما شعراء جنوب فرنسا " التروبادور " *Trovadores* ، وانتقل التأثير إلى الشعر الإيطالى من النوع الدينى " لاودوس " *Laúdes* ، والغنائى " بالاتا " *Ballata* .

ويذكر الكاتب الفرنسى " لويس بارو " : " أن الأغانى الغجرية لم تكن إلا تكملة للأزجال المغربية التى كانت تُغنى فى غرناطة فى الحقبة التى جعل فيها العرب من الأندلس أجمل مملكة فى إفريقيا " .

وديوان " الأغانى الغجرية " يرتبط بالقصائد ذات الطابع الملحمى أو القصصى أو الوجدانى التى كانت شائعة تحت اسم رومانث أو " رومانثة " *Romances* فى إسبانيا فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وتلك التى كانت تُنشد على آلة موسيقية مع رقصات جماعية ، فحاول " لوركا " بهذا الديوان أن يحيى هذه الصيغة العروضية من الناحية الشكلية ، فكان يستعمل الإيقاع والقافية بين كل بيتين ، والأمثلة على ذلك عديدة ، كما أشرنا فى الأمثلة السابقة .

فهذه الظاهرة واحدة من تلك الظواهر العربية فى الشعر الأندلسى التى انتقلت إلى الشعر الإسبانى منذ عهد قديم ، " فقد وجدت منذ بداية الشعر الإسبانى فى ديوان " الحب الطيب " *El Libro del Buen Amor* لـ " نائب الأسقف فى هيتا " *El Arcipreste de Hita* فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ثم وجدناه فى الشعر الغنائى الشعبى خلال القرون التالية ، وكان من أبرز شعراء إسبانيا استخدامًا فى نظم تلك القصائد ذات الأقفال " لوبى دى فيجا " *Lope de Vega* (1562 – 1635) سواء فى شعره الغنائى أو فى مسرحه الفنى " [58] ، ويعتبر " لوركا " هو مجدد ذلك التقليد فى القرن العشرين ، ولعل الذى حدا به إلى ذلك هو رهافة حسه للإيقاع الموسيقى ، فقد عُرف منذ صباه ولعه بالموسيقى ، وإجادته للعزف على البيانو وضرب العود الأندلسى " الجيتار " ، وكثيرًا ما كان معاصروه يتحدثون عن المتعة التى كانوا يجدونها فى الاستماع إليه ، وهو ينشد شعره ، ولهذا أطلقوا عليه اسم " عندليب الأندلس " .

وهناك ظاهرة لا تقل أهمية عن غيرها من الظواهر الأخرى فى شعر لوركا ، وهى ظاهرة شيوع التصغير ، وولعه الشديد بها مما حدا بالناقد الإسبانى " دياث بلاخا " يُشير إلى ولع " لوركا " بالتصغير يقول " كان مولعًا بالتصغير ولا يعنى ذلك استخدامه للواحق اللغوية الدالة على التصغير فحسب ، بل كذلك فى تصغيره لكل مشاهد الكون ، حتى الأجرام السماوية ، ويستشهد لذلك بالمقطع الثانى من قصيدة " قمران فى المساء " ، يقول :

- أختى الصغيرة تغنى
- الأرض برتقالة
- القمر يقول باكيًا
- أنا أريد أن أكون برتقالة
- هذا مستحيل يا بنيّتى
- حتى لو احمرّ خداك
- ولا حتى أن تكون ليمونة صغيرة
- وا أسفاه ! [59]

وقد أشار " لوركا " لظاهرة التصغير الشائعة فى كل أنحاء الأندلس ، وهو يرى أن هذه الظاهرة تتخذ من غرناطة سمات خاصة ، بل يقول : " إنها أساس الفلسفة الجمالية لهذه المدينة ، ويمثل لها

[58] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 ، المقدمة .
[59] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 175 .

بقصر الحمراء وجدرانه التى تغطيها الزخارف حتى تكاد تخلو من الفراغات ... ، يقول : " غرناطة من مدن الأندلس أكثر استخدامًا للتصغير ... والحقيقة أن هذه الصيغة الشائعة فى حديث الغرناطيين بصفة خاصة إنما هى رمز لطابع غرناطة المميز ونفسية أهلها ، والتصغير ليس إلا تحديدًا ، وتجزئة للوقت ... للمسافات ... للفراغ ... لكل شىء ، وفلسفة الجمال فى غرناطة تقوم على هذا الأساس ، فهى لا تعتمد على الفخامة والجلال الذى يأخذ بالألباب ، وإنما الصغر المتواضع". [60]

وظاهرة (التصغير) : " إنما هى من موروثات إسبانيا فى الأندلس الإسبانية " [61] فالشعر الأندلسى بشكل خاص يشيع فيه التصغير على نحو ملفت للنظر ، ولاسيما الشعر الذى يغلب عليه الطابع الشعبى (الزجل – والموشحة) وهما من أعظم مبتكرات الأندلسيين الشعرية فالموشحة تقوم على تجزئ السطر الشعرى بما يعنيه ذلك من تكثيف للغة الشعر ، ويبلغ الأمر ببعض الوشاحين أن يجعل الجزء كلمة واحدة كما نرى فى موشحة ابن عربى المرسى ، يقول على مجزوء البسيط :

- قل لمن قال لنا اتبعوا رسُلنا
- اعلمن أن بنا يندفعوا نحونا
- فالزمن قول أنا إن شرعوا سبلنا
- العوال لمن علا قدرًا على القانت
- واستمال من قال لا لفرعه النابت [62]

أما عن شيوع " صيغ التصغير " فى الزجل فهى عديدة ، وفى ديوان ابن قزمان القرطبى المتوفى (555 هـ / 1160م) العديد من الأمثلة على هذا الاستعمال اللغوى ونشير إلى زجل طويل له ، ينتهى كل أقفاله بلفظ مصغر ، وهو الذى يبدأ بقوله :

- ذاب نَعْشَقك إلى أيْمَهْ نُجَيْمَهْ [63]

وقوله : - لم يَدَبَّرْ ذا النُعَيْمَهْ

وقوله : - لم نذق فيه غير لُقَيمْهْ

وقوله : - نَمْذ عادّ بير الُشَيْمَهْ ؟

وقوله : - لو جعلك الله حُذَيْمَهْ !

وقوله : - متى مأقلتَ كُلَيْمَهْ .

---

60 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 11 .

61 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 50 .

62 ديوان ابن عربى : القاهرة ، 1271هـ ، ص 84 ؛ وانظر : ديوان الموشحات الأندلسية : د . سيد مصطفى غازى ، الإسكندرية ، 1979م ، جـ 2 / ص 225 .

63 ديوان ابن قزمان القرطبى : إصابة الأغراض فى ذكر الأعراض ، تحقيق : فيديريكو كورنيتى ، تقديم : د . محمود على مكى ، الزجل رقم (10) ، ص 54 – ص 55 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1995م .

وتأتى ظاهرة الازدواج فى النظرة إلى الجنس فى شعر لوركا ولاسيما فى ديوان " الأغانى " فى مجموعة " إله الحب وعصاه " وهذه القصائد أثارت كثيرًا من الجدل والتساؤلات حول مفهوم الجنس وأبعاده عند لوركا ، وقد ذكر ممن تعرضوا لتحليل شعره من أن مفهومه للجنس كان مزدوجًا مزيجًا من الذكورة والأنوثة ، ففى القصيدة الأولى من تلك المجموعة قصيدة بعنوان " فزع فى قاعة الطعام " وفيها يقول :

- رغبت فى التفاح الأخضر
- ولم أرد التفاح الوردى [64]

وقد ذهب الناقد *Francisco Umbral* الذى توقف طويلاً أمام هذا الجانب من شخصية لوركا إلى القول " إن اللون الأخضر حيث يرد فى شعر لوركا فإنه يرمز إلى الذكر ، أما اللون الوردى فهو رمز للأنثى .

ونشير إلى مثال آخر فى قصيدة " الطفل المجنون " يقول :

- كان ذلك المساء صغيرًا
- وكان يأكل رمانًا
- أما هذا فهو كبير وأخضر
- لا أستطيع أخذه بين ذراعىّ ولا أن ألبسه
- ألا يأتى ؟ كيف كان ؟ [65]

هذا الازدواج فى النظرة إلى الجنس لم يكن وقفًا على لوركا ، بل وجدناه فى الشعر العربى أيضًا ، نذكر منه الشاعر العباسى أبا نواس ، فقد ورد فى ديوانه " باب " خاص فى غزل المذكر ففى إحدى قصائده فى التغزل بالمذكر ، يقول على الرجز :

- يا ماسح القبلة من خده ... من بعد ما قد كان أعطاها
- خشيت أن يعرف اعجامها ... مولاك فى الخد فيقراها
- ولو علمنا أنه هكذا ... كنا إذا بسنا مسحناها
- فصار فيها رسمًا باقيًا ... يعرفها من يتهجاها [66]

ومن الملامح العربية الشائعة فى شعر " لوركا " ظاهرة التوجس من الموت ، فالقمر من بين كل الكائنات التى أشركها " لوركا " فى لعب المأساة الدامية ، فهو المكان الأسمى ، وأنه يتسنم الذروة ، وهو الضحية ، والشاهد طورًا ، وهو الوسيط ورمز القدر الغاشم ، طورًا آخر ، فشبح الموت المتوقع يبسط جناحيه على جو المشاهد الشعرية فى قصائده ، " فالقمر فى شعر لوركا كله رمز للموت " . [67]

---

[64] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 184 .
[65] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 198 .
[66] ديوان أبى نواس : تحقيق وشرح : اسكندر آصاف ، عن مخطوطة دار الكتب ، برلين ، دار العرب للبستانى ، ص 391 .
[67] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 ، المقدمة .

ففى قصيدة " قداس على روح ميت " نجد لوركا يتوجس خفية من شبح الموت ودائمًا ما يقرن الحديث عن الموت بالحديث عن الزهور والموسيقى ، ففى هذه القصيدة يرى أن الموت رفيق كل شىء ، يقول :

- حينما يحل بى الموت
- ادفنونى مع قيثارتى
- تحت التراب
- حينما يحل بى الموت حينما يحل بى الموت
- ادفنونى بين شجر البرتقال
- وأغصان النعناع
- حينما يحل بى الموت
- ادفنونى – إذا أردتم
- فى وردة الرياح الدوارة [68]

وهذه المعانى قد سبق إليها الشاعر العربى " أبو محجن الثقفى " حينما قرن الموت بالخمر فى قصيدته التى يقول فيها من الطويل :

- إذا متُ فادفنى إلى أصل كرمةٍ ∴ تروّى عظامى بعد موتى عروقها
- ولا تدفننى بالفلاة فإننى ∴ أخاف إذا مامت ألا أذوقها [69]

فالموت من الظواهر التى عالجها " لوركا " وتناوله بصور عديدة فى شعره ، فشخصية " موت المرّ " ظهرت فى قصائده بل تجده اتخذ مع الموت المرتقب – موعدًا محددًا ، فالشاعر يستدعى الموت ، فيأتيه ملبيًا فى موعده .

وهذا الاستدعاء للموت يبدو أن لوركا أخذه من التراث العربى ، ففى كثير من أخبار مسلمى الأندلس ترى كيف كان يتنبأ الرجل بموته فى تاريخ محدد ، فتصبح نبؤته حقيقة ، ومثال ذلك ما أورده " ميجيل أسين بلاثيوس " *Miguel Asín Palacios* عن ابن عبد الله بن العربى الذى دعا الله أن يموت بعد وفاة ابنه بأربعة وأربعين يومًا ، فاستجيبت دعوته " . [70]

ويمكن إضافة مثال آخر وهو ما ورد فى ترجمة محمد بن القاسم بن شعبان رأس فقهاء المالكية المصريين على عهد الإخشيديين ، وكان يدعو على نفسه بالموت قبل دخول الفاطميين على مصر ، فاستجيبت دعوته ، وتوفى عام 355هـ ، قبل دخول " جوهر الصقلى " مصر عام 358 هـ . [71]

فموضوع الموت والقمر والقضاء والقدر من الأشياء التى كان يؤمن بها لوركا ، ففى معرض حديثه عن المرأة الأندلسية فى حى البيازين بغرناطة : " إذا ما ولولت امرأة على وليدها الميت أو

---

68 لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 293 .

69 الأمالى : لابن الشجرى : تحقيق : محمود الطناحى ، القاهرة ، 1992م .

70 ميجيل آسين بلاثيوس : الصوفى ابن عربى ، المجمع اللغوى الملكى ، 1925م ؛ وانظر : الأعمال الكاملة ، جـ 1 / المقدمة ، ص 3 – ص 5 .

71 ابن فرحون : الترجمة فى الديباج المذهب ، القاهرة .

على فقيدٍ لها فإن ما تنوح به لهو أنين ، وأن السواعد النادبة والضفائر الشعثاء لتنم عن خذلان الحظ، وتدل على اعتقاد بالقضاء والقدر اعتقادًا إسلاميًا حقيقيًا " . [72]

ونعرج نحو الشعر الغزلى ، وهو يتمركز حول مسرات الجسد والقلب كبؤرة ، وإذا ما دخلت مواضيع الطبيعة فإنما لتذويق وتصوير مظاهرها المألوفة تصويرًا رمزيًا وخصوصًا إذا كان فحواها غزليًا ، فيما يلى مثالان من ديوان شعر ابن سعيد المغربى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، يقول على الكامل :

- يا أصدقائى حل فى كبدى ∴ غصن من البان ناحل الخصر
- مالت علىّ ، ففاح من فمها ∴ عطر ، وفاض الليل بالسحر
- فكأن نهديها قناة شرعت ∴ لتذود كفى عن جنى الصدر [73]

بمقابلة هذه الأبيات بأبيات " لوركا " الشهيرة جدًا والشعبية " الزوجة الخائنة " التى لا تزال تغنى فى أوساط إسبانيا الشعبية ، ولاسيما الغجر ، فإنك ستجد وجه الشبه واضحًا بين المقطوعتين . يقول " لوركا " فى قصيدة الزوجة الخائنة : [74]

- ولما أتينا من الحى آخر الزوايا
- تحسست نهديها النائمين
- فيا سرعان ما انبلجا
- وكأنما غصنان من غصون النرجس
- وباتت للنشاء الذى فى غلالتها
- خشخشة فى مسمعى
- كما لقطعة من الديباج
- قدتها عشرات من السكاكين [75]

أما القطعة الثانية للشاعر الأندلسى " ابن سعيد " فيقول فيها :

- وليلٍ بمنعطف النهر أُنْسًا فطعته ∴ بذات سوار مثل منعطف النهر
- نضتْ بردها عن غصن بان منعمّ ∴ فياحسن ما انشق الكمامُ عن الزّهر [76]

نجد " لوركا " أخذ هذه الصور والمعانى ووضعها فى القالب الشعرى الآتى ، يقول :

- وبعيدًا بعيدًا عن النهر
- وما أن جاوزنا العليق
- والخيزران والأشواك

---

72 لوركا : الأعمال الكاملة ، ص 323 ، ط . آجيلار ، مدريد ، 1962م .

73 ديوان : ابن سعيد ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق : محمد رمضان الدايه ، 1987م .

74 ديوان ابن سعيد : رايات المبرزين ، ص 47 .

75 من كنوز الأدب الإسبانى : نجيب أبو ملحم ، " انطونيو ما تشادو ولوركا " ، مجلة أوراق ، المعهد الإسبانى العربى ، العدد الثانى ، ص 86 ، مدريد ، 1979م .

76 ديوان ابن سعيد : رايات المبرزين ، ص 47 ، تحقيق : محمد رمضان الدايه .

- حتى نقبت تحت غضاضة شعرها
- فككت أنا ربطة عنقى
- وتجردت هى من ملابسها
- ثم نزعت منطقتى والمسدس
- وخلعت هى غلالاتها الأربع [77]

كما لاحظنا شبهًا كبيرًا بينه وبين شعر عمرو بن أبى ربيعه ، فى أسلوبه القصصى ، والحوار فى شعره ، وإشراكه فتياته وأصحابه فى القول ، يقول لوركا :

- فوصل خليها يخبُ
- على فرس قرطبة
- وقال لها فى تنهد :
- لو ترغبين يا فتاة
- فإننا سنتعشى غدًا
- أنت وأنا معًا ، على مائدتك
- وماذا أنت فاعل بزوجى ؟
- زوجك لم يعلم
- أشر ، ماذا ستفعل ؟ أفستقتله [78]

ونجد فى شعر عمر بن ربيعه ، يقول :

- فمضـى نحوهـا بعقـل وحَـزْمٍ واحتيـال ونصـح حـبَّ فلمَّـا
- جاءها قال ما الذى كان بعدي حـدثينى فقـد تحملـتُ إثمـًا [79]

وحين ننظر إلى الشعر الأندلسى نجده يتميز بظاهرتين هما : التعبير الحسى ، والإسقاط الطبيعى كذلك شعر لوركا تمتع بهاتين الخاصتين ، وبشكل عميق ولا يعدو أن يكون إلا كذلك ، فعند استخدام لوركا للإسقاط الطبيعى نجده استخدم كل زخارف الطبيعة فمثلاً فى قصيدة " مفرق طرق " استعان بزخارف الطبيعة التى تجلت يوم الحادث ليست كأشياء جامدة تدخل فى بناء المنظر الخلفى ، وإنما شاركها كأشخاص حية تلعب دورًا فاعلاً فى وقوع الحادث الأليم أو فى استقباله لحظة الانفعال التى نظنها مقصورة على الإنسان ، فانظر إلى دور الريح الشرقية فى القصيدة وإلى المصباح ، والشارع الذى يرتعد ويهتز من الخوف كالوتر المشدود ، يقول :

- ريح شرقية
- ومصباح درب
- والخنجر فى القلب
- والشارع يهتز

---

77 غرسية لوركا : الأعمال الكاملة ، جـ 1 / ص 222 .
- وانظر : من كنوز الأدب الإسبانى ، مجلة أوراق ، ص 86 ، نجيب أبو ملحم ، المعهد الإسبانى العربى للثقافة ، العدد الثانى ، مدريد ، 1979م .

78 الأعمال الكاملة ، ص 961 ، ط . آجيلار .

79 عمـر بـن أبـى ربيعهـة : حبـه وشـعره ، د . جبرائيـل جبـور ، جـ 3 / ص 462 ، دار العلـم للملايـين ، ط . الأولى ، بيروت ، 1971م .

- كالوتر المشدود [80]

ومثل هذه الانطباعية نجدها فى قصيدة " مفاجأة " ففيها يصور لوركا الدرب بكائن حى يعيش ويحيا رُعب الجريمة ويميد بآثارها ، يقول :

- قتيلاً بات فى الدرب
- لا يعرفه أحد
- وفى صدره خنجر مغروس
- كم ارتعش المصباح
- أماه
- كم ارتعش مصباح الدرب [81]

ففى شعر لوركا العديد من الصور التى كان يخلع صفات الكائنات الحية فيها على الجمادات ، فقد شبه المصباح وهو جماد بصورة إنسان يرتعش ، أى خلع عليه صفة التأثر والشعور كالإنسان ، وفى شعر لوركا صور طبيعية مزدوجة : صورة حسية يتخيل فيها الواقع الذى تعطيه الحواس بشكل مباشر ، وصور لا واقعية مستقلة ترتسم فوق الأولى وتتصل بها اتصالاً يقرب أو يبعد حسب عدد العناصر التى تستعيرها من الواقع ، وحسب الأبعاد التى تعطيها لكل منها ، ولعلك تلمس كل ما يزخر فى هذه الصور التى تحاول النفاذ إلى عالم اللامعقول فى عناصر ومواد حسية ملؤها الألوان ، والخطوط ، والأشكال ، والأنغام .

يقول لوركا فى ديوان " شاعر فى نيويورك " فى قصيدة " أنشودة إلى سلفادور دالى " :

- وردة فى الحديقة العالية التى تريد
- دولاب
- فى بلاغة الفولاذ الصافية
- إنه جبل الضباب الانطباعى ... والألوان
- الرمادية أصبحت فيه على آخر شرفاتها
- وفى محترفاتهم البيضاء ، يقطع الرسامون الحديثون
- الزهرة المعقمة فى الجذر المكعب [82]

فالتعبير فى الأبيات غير مألوف ، وغريب ، لا تتموضع فيه الكلمة عقليًا نتيجة للإدراك الحسى ، وهذا كل ما هناك فى سريالية لوركا " فلوركا ليس سرياليًا بالمعنى المألوف للسريالية ، وإنما هو نقيض هذا العالم الآلى فى التعبير فقط ، التعبير الحسى لمدلول اللفظة القاموسى ، الشعر الذى يعتمد أولاً وأخيرًا على توظيف الحواس الخمس ، والحاسة السادسة لبصيرة لوركا الثقافية " [83] .

وحين سمع " أرثوريو باريا " قصيدة لوركا عن الحرس الوطنى شهق قائلاً : إنه يجعلك ترى وتشم الحرس الوطنى " فهذه المقدرة على التصوير الحسى للعالم الواقعى ، واللاواقعى قد انتقلت إلى لوركا من شعراء العربية الذين يغلب على إبداعهم الطابع الحسى ، وإن لم تكن هذه الصفة قد

---

[80] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 /ص 187 .
[81] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 100 .
[82] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود السيد ، جـ 2 / ص 289 .
[83] لوركا : حسين عبد اللطيف ، مجلة الأقلام ، الجزء (1) ، ص 75 ، 1969م .

انتقلت إليه بواساطة الوراثة والدم ، فمن المحتمل أنه تلقاها بواساطة التراث الفكرى العربى الذى يطبع بميسمه الراسخ المناطق الجنوبية من إسبانيا خاصة " .[84]

الخلاصة أن لوركا كان يدين قبل كل شئ للإلهام النابع من نفسه ... هذا الإلهام الذى كان موضوع محاضرة ألقاها فى بيت الطلبة الجامعيين سنة 1930 بعنوان " نظرية الجن الشعرى ومعابثاته " *Teoría y Juego del Duende* ، وكلمة *Duende* التى يستخدمها هنا – هى التى يمكن أن تترجم بـ " جن ، عفريت ، شيطان " – كلمة مألوفة فى الأندلس ، يطلقها الناس على العبقرية التى تكمن فى نفس الفنان : مصارع الثيران والمغنى بصفة خاصة ، وهو الذى كثيرًا ما تهديه حاسته الفطرية وطبيعته الملهمة إلى الارتجال ، فلا يلبث أن يأتى بالبدائع الغريبة ، ولسنا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن لهذا المفهوم المتأصل فى منطقة الأندلس صلة وثيقة بالتراث العربى ، فهو أشبه ما يكون بتصور العرب الجاهليين أن للشاعر شيطانًا يوحى له بشعره ، وقد أفرد أبو زيد بن أبى الخطاب فى كتابه " جمهرة أشعار العرب " فصلاً جعل عنوانه : " فى قول الجن الشعر على ألسنة العرب " ، [85] فصّل فيه الحديث عن ذلك التصور ، كما أورد الجاحظ غرائب فى هذا الباب [86] ، وقد تلقف هذا التصور أديب أندلسى موهوب هو أبو عامر ابن شهيد القرطبى (383 – 426 هـ / 992 – 1035 م) فى رسالته المشهورة " التوابع والزوابع " [87] ، والطريف أن عبارات لوركا فى تصوير هذا " الجن " الذى يرافق ملهمى الشعراء والمغنيين تكاد تتفق مع ما يقوله ابن شهيد عن توابع الشعراء . [88]

وفي النهاية نتذكر ما قاله الناقد (بارو): " لدى لوركا كل مزايا عرقه ومساوئه، وليس من المستحيل أن تري في أوردته قطرات من ذلك الدم العربي الذي صنع عظمة غرناطة ". [89]

وأرجح أن الدم العربي ، رفد قلب الشاعر ، ولعلك تلمح إن أمعنت النظر في قسمات وجهه ، ملامح تشى بأصله العربي ، على أن روحه ظلت ، على أي حال ، عربية ، ويقول عنه احد النقاد الصحفيين: " إن لهجته الجنوبية القوية العذبة معًا ، تخلبك بسحرها ، إن لوركا يؤمن بالعرب ، بل إنه أقرب إلى أن يكون عربيًا من أن يكون أندلسيًا ". [90]

وبعد ، هل نبالغ إذا قلنا إن لوركا شاعر عربي كان يكتب بالإسبانية ؟

---

[84] انظر : لوركا : عرس الدم ، ترجمة : د . عبد الرحمن بدوى ، دار النهضة العربية ، 1964م .

[85] الجمهرة : تحقيق : محمد الجاوى ، القاهرة ، ص 63 .

[86] الحيوان : تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1967 – 6 ، ص 80 – ص 84 ، ص 147 – ص 248 .

[87] الزخيرة لابن بسام : تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، 1979م ، القسم الأول ، ص 245 – ص 301 .

[88] لوركا : الأعمال الكاملة ، ترجمة : د . محمود على مكى ، جـ 1 / ص 25 .

[89] لوركا : الأعمال الكاملة ، دار آجيلار ، المقدمة : ص 21 .

[90] لوركا : الأعمال الكاملة ، دار آجيلار ، ص 1700 .